

## معوقات ذكر الله سبحانه



يشغل القلب أحياناً بقضايا دنيوية لها بريق خاص، وهي الأموال والأولاد والتجارة والبيع والشراء وغيرها من الأمور الدنيوية، وهي إذا زادت عن حدها الطبيعي انقلبت إلى قضية تذوب فيها كل شخصية الإنسان فتصبح الإله الذي يعبده.. فينسى عبادة الخالق عز وجل، فتموت روحه، ويتجمد ضميره، ويصبح حجارة صماء تدور في فلك الحياة.. ولذلك أكد القرآن المجيد على المؤمنين بأن لا تلهيهم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله سبحانه وتعالى.. لأن الانغمار الكلي في الحياة الدنيا لا يورث إلا الخسران والندم والحسرة يوم القيامة.. يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المنافقون/ 9). فالاشتغال بزينة الحياة الدنيا يوجب الإعراض عن ذكر الله سبحانه، يقول تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (الكهف/ 46)، وما نسيان ذكر الخالق العظيم إلا دليل على أن الانبهار بزينة الحياة، تأخذ كل قلب الإنسان، فلا يبقى مجال لتذكر الله سبحانه.. يقول تعالى: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) (التوبة/ 67)، ويقول أيضاً: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) (البقرة/ 16). فذكر الله سبحانه، إذن، أسمى من البيع والشراء والأموال والأولاد، وكل ما يمت إلى ماديات هذه الحياة.. وخشوع القلب لله سبحانه هو القيمة الحقيقية والهدف الأسمى لوجود الإنسان على كوكب صغير في كون ليست له حدود..

ويدعو القرآن الكريم، المؤمنين، إلى ترك البيع، والتجارة بشكل عام، وقت حلول صلاة الجمعة، والتوجه نحو الله سبحانه لممارسة الواجبات التعبدية.. يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَعْلَمُونَ \* وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (الجمعة/ 9-11). وقد اتفقت الروايات على أنه وردت المدينة قافلة معها تجارة وكان ذلك يوم الجمعة، والنبي (ص) قائم يخطب ف ضربوا بالطبول والدفوف لإعلام الناس، فانفض أهل المسجد إليهم وتركوا النبي (ص) قائماً يخطب ومعه عدد قليل من المؤمنين فنزلت الآية..

والعمل التجاري، لا يزال مستحباً، إذا بقي مضبوطاً ضمن الإطار الشرعي، كأن يتذكر التجار حق

□ سبحانه، ويمارسوا عبادة الخالق، كما يمارسوا تجارتهم.. ويتذكروا أن البيع والشراء، ما هما إلا وسيلة من وسائل العيش.. فالتجارة ليست الأساس في حياة الإنسان.. وإنما عقيدة التوحيد وحب الخالق سبحانه وذكره وتسبيحه هو الأساس في هذه الحياة القصيرة.. ولذلك يدعو القرآن المجيد إلى ذكر □ ذكراً كثيراً.. (وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيْرًا لِّعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ).. وذلك أن كثرة الذكر تفيد رسوخ المعنى المذكور في النفس، واستقراره في الضمير، وثبوته في الذهن، فتقطع الغفلة وينقطع النسيان.. ويتهدم أهم معوّق يمنع الإنسان من ذكر □، ألا وهو، حب الدنيا ومتاعها..

ويصور القرآن الكريم، مجموعة من المؤمنين، الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر □، بأن لهم نوراً يستنيرون به ويهتدون إليه بأعمالهم الصالحة وهو نور المعرفة والإيمان، وكأن هذا النور بمصباح في زجاجة في مشكاة تشتعل بزيت في غاية النقاء فتتألق الزجاجة كأنها كوكب دري، ليزداد نوراً على نور.. هذا المصباح موضوع في بيوت □ التي يؤمها رجال لا تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر □.. يقول تعالى: (اللّٰهُ نُورٌ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ مِثْلُ نُوْرِهِ كَمِثْلِ شِكَاةٍ فِيْهَا مِصْبٰحٌ الْمِصْبٰحُ فِيْ زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبٰرَكَةٍ زَيْتُوْنَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلٰى نُورٍ يَهْدِي اللّٰهُ لِنُوْرِهِ مَنْ يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ \* فِي بَيْتٍ اٰذِنَ اللّٰهُ اَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيْهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهٗ فِيْهَا بِالْغُدُوِّ وَالْاَصَالِ \* رَجَالَ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللّٰهِ وَ اِقَامِ الصَّلَاةِ وَ اِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَ خَافُوْنَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيْهِ الْقُلُوْبُ وَ الْاَبْصَارُ \* لِيَجْزِيََهُمُ اللّٰهُ اَحْسَنَ مَا عَمِلُوْا وَيَزِيْدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (النور/ 35-38). فتلك العصبة من المؤمنين لا تلهيها عن ذكر □ تجارة أو بيع أو لهو يمتد إلى هذه الحياة الدنيا، لأن أبصارهم مشدودة إلى يوم القيامة، يوم الفصل، يوم تنصرف القلوب والأبصار عن الرؤية الدنيوية الشاغلة عن ذكر □، إلى الرؤية بنور الإيمان والمعرفة، كما قال تعالى: (فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ وَبَصَّرْنَاكَ الْيَوْمَ حَدِيْدٌ) (ق/ 22)، وكذلك قوله تعالى: (وَ بَدَّلْهُمُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَمْ يَكُوْنُوْا يَحْتَسِبُوْنَ) (الزمر/ 47). فالرؤية الحقيقية في ذلك اليوم، للقلوب المؤمنة، والنفوس المبصرة، والضائر الواعية.. تلك الحقيقة يجسدها القرآن في مشهد رائع من مشاهد يوم القيامة حين يتساءل الإنسان الذي غرته الدنيا بمباهجها وزينتها فنسي ذكر □، يتسائل: يا رب لم حشرتني أعمى بعد أن كنت بصيراً في الحياة الدنيا، وكان العيون وحدها التي تبصر! وينسى أن □ سبحانه سلب منه بصيرة القلب يوم القيامة، فأخذ يتخبط، لا يهتدي إلى طريق الحق، طريق الجنة، طريق مرضاة □ سبحانه وهدايته.. يقول تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِيْ فَإِن لَّ لَهُ مَعِيْشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا \* قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيٰتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى \* وَكَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيٰتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْاٰخِرَةِ اَشَدُّ وَأَبْقَى) (طه/ 124-127).

إن الإيمان الحقيقي با □ سبحانه وتعالى، هو المنقذ الأساسي من محنة يوم القيامة.. ذلك اليوم العظيم.. حيث ترى الإنسان ينظر بنور □ سبحانه وهو نور الإيمان والمعرفة إن كان مؤمناً، يقول تعالى: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) (الحديد/ 12)، وترى الإنسان الآخر الذي عبد المال والتجارة والدنيا ونسي □ سبحانه، قد أعمى □ بصيرته، فهو لا يرى طريق الهدى، ولا يبصر طريق السعادة.. يقول تعالى: (إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) (السجدة/ 12)، ويقول أيضاً: (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ) (المطففين/ 15). ويقول أيضاً: (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيْلًا) (الإسراء/ 72).

ومن معوقات ذكر □ سبحانه وتعالى اشتغال بعض الناس، بتصوير الخيال وتزويقه، وكأنه واقع.. في حين أنه خيال لا يمت إلى الواقع بشيء، وهذا هو الغي في المفهوم القرآني، وهو خلاف الرشد الذي هو إصابة الواقع، فالرشد هو الذي لا يهتم إلا بما هو حق واقع، والغوي هو السالك سبيل الباطل.. المخطئ طريق الحق.. وخير ما يصرف الإنسان عن تأمل واقعه الذي يعيشه، ويضعه في عالم الخيال، هو الشعر المبتذل المنحط، والأفكار الخيالية الوهمية، لأن الشعراء المفسدين لا يتبعهم إلا الغاؤون لابتناء صناعتهم على الغواية وخلاف الرشد.. وقد استثنى □ سبحانه وتعالى شعراء المؤمنين الذين يذكرون □ كثيراً في أعمالهم وأقوالهم، لأن الإيمان والعمل الصالح يردع الإنسان عن قول الباطل، والتملق للظالم.. يقول تعالى: (وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَّهيمُونَ \* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحٰتِ وَذَكَرُوا اللّٰهَ كَثِيْرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (الشعراء/ 224-227). فالفرق واضح بين الشاعر أو الفنان الذي يستهو به جسد المرأة، فيبقى يتغذى به طول حياته، وبين الشاعر المؤمن الذي له هدف واضح في الحياة، وهو مرضاة □ سبحانه، عبر بناء جيل مثقف سليم، فالكلمة المؤمنة الطيبة لها أثر راسخ في النفوس، والنصيحة، والتذكير با □، والدعوة إلى

عقيدة التوحيد كلاً لها انعكاسات عميقة في نفوس الناس، ولا يستطيع أحد أن يبثها للناس غير الشعراء المؤمنين الصادقين، الذاكرين إلا كثيراً..

إنّ المعوق الرئيسي عن ذكر الله سبحانه وتعالى، هو حب الدنيا، بتجارتها وأموالها، وزخرفها من أولاد ونساء، وغير ذلك من الأمور.. وإنّ الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من قيود حب الدنيا، بدون أن يجد له لذة وطماً نينة في الانصراف إلى سبحانه والإخلاص له في كلّ صغيرة وكبيرة، وهذا ما لا يجده الآخرون في أي متعة من متع الحياة الدنيا.. إنّ وقفة ساعة أمام الله سبحانه وتعالى، في جوف الليل، حيث يركن الناس فيها إلى النوم، وقفة، يستغفر فيها الإنسان ربّه، ويسبحه، ويذكر نعمه وآلاءه، ويدعوه وفي قلبه أمل بأنّ الله سيستجيب دعاءه.. هذه الوقفة كفيلة بأن تفتح له أبواب السماوات، فيطير قلبه مع ملائكة الجنّة، وتفتح بصيرته، فلا يرى إلاّ نوراً يرى به الأشياء، وهو نور الإيمان والمعرفة وحب الله.. ويرجع الإنسان في الصباح إنساناً عاملاً منتجاً مجدداً ذاكراً في كلّ موقع، وفي كلّ ساعة..

لِيَجْسُدَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهََ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا لِيَتَفَكَّرُوا فِيهِ وَبَدَأُوا بَأَلْبَابِ النَّارِ) (آل عمران/ 191-190). تلك هي ميزة الإيمان.. استقامة في التفكير.. شافية في الروح.. بصيرة في النفس.. واتصال وثيق بالله الخالق الجبار..

المصدر: كتاب الأخلاق القرآنية/ ج2